**علاقة الدّلالة بمستويات اللّغة**

يرتبط علم الدّلالة باللّغة إذ يُعدّ فرعا من اللّسانيّات، يدرس الأدلّة اللّغويّة ( اللّسانيّة) على اعتبار أنّ الدّليل اللّساني هو العلاقة التّي تجمع الدّال بالمدلول والتّي توصف ــــ كما سبق الذّكرــــ بالعلاقة الاعتباطيّة العفويّة كونها ناتجة عن التّواضع والاصطلاح بين بني البشر وذلك باختلاف اللّغة، هذا الأخير الذّي يعدّ دليلا على عفويّة هذه العلاقة. وعلم الدّلالة كغيره من العلوم يعتمد أساسا على اللّغة كأداة في الدّراسة الدّلاليّة، فهناك علاقة وطيدة بين الدّلالة ومستويات اللّغة بشكل يُبرز أثر المستويات الصّوتيّة والصّرفيّة والتّركيبيّة وغيرها في تحديد الدّلالة، ويُؤكّد على حضور الدّلالة في جميع مستويات اللّغة.

**1. الدّلالة الصّوتيّة:**

يُعدّ الصّوت مكوّنا أساسيّا من مكوّنات اللّغة، وتُعدّ الأصوات منفردة سواء كانت صوائت أم صوامت وحدات غير دالّة وتُمثّل الوحدات الصّوتيّة الصّغرى التّي تُشكّل بجمع بعضها إلى بعض وحدات دالّة هي الكلمات، وتُدرس هذه الأصوات من جانبين جانب فيزيولوجي، وجانب وظيفيّ، أمّا الجانب الأوّل فيهتمّ به علم الأصوات العامّ الذّي يهتمّ بالجانب المادّي للصّوت في معزل عن وظيفته اللّغويّة وهي التّواصل، أي دون النّظر في قيمة استعماله بل يدرس فقط صفاته كالجهر والهمس، الشّدة والرّخاوة والانفجار وغيرها...ومخارجه كالصّوت الشّفوي والحلقيّ وغير ذلك. وأمّا الجانب الثّاني فيختصّ به علم وظائف الأصوات الذّي يدرس وظيفة الصّوت من حيث التّوزيع والموقع في إطار السّلسلة الكلاميّة وعلاقة ذلك بالدّلالة. ويتكامل العلمان معا لمعرفة صفات الصّوت ومخارجه، واستثمارها في فهم وظيفته ( الدّلاليّة) داخل السّلسلة الكلاميّة من خلال التّقابلات الثّنائيّة التّي تُظهر القيمة الدّلاليّة أو المعنويّة للصّوت بالاشتراك مع أصوات أخرى. فالفرق الدّلالي مثلا بين (قال) و(مال) جاء من التّقابل بين (ق) و(م). ويرى بعض الباحثين أنّ الصّوت يحمل منفردا قيمة دلاليّة ومن هؤلاء ابن جنّي الذّي أورد في كتابه الخصائص عددا من العناوين والأمثلة التّي تُؤكّد قناعته بهذا الرّأي، وتُعزّز ميله إلى النّظريّة التّي ترى بأنّ أصل اللّغات إنّما هو من الأصوات المسموعة، فالصّوت مفردا أو مركّبا يحمل دلالة في ذاته، ومن أمثلة القيمة الدّلاليّة للصّوت المركّب في الكلمة**: ــــ نضح ونضخ:** بما أنّ النّضخ أقوى من النّضح، فقد جُعلت الحاء لرقّتها(حرف مرقّق) للماء الضّعيف والخاء لغلظتها لما هو أقوى منه. كما في قوله تعالى:( فيها عينان نضّاختان) **ــــ قضم وخضم:** يكون القضم للشّيء الصّلب اليابس، حيث استعمل صوت القاف (صوت قويّ انفجاريّ) للدّلالة على ذلك، بينما استعمل صوت الخاء(صوت مرقّق) في الخضم للدّلالة على الشّيء الرّطب. **ـــ سعد وصعد:** يعتبر صوت الصّاد (من صفاته:الهمس والاستعلاء والقوّة ) أقوى من صوت السّين، لذا جُعل في الصّعود لما فيه من دلالات بلوغ العلوّ مع قوّة في بذل الجهد، بينما استعمل صوت السّين ( من صفاته: الهمس و الرّخاوة والتّرقيق) في( سعد) للدّلالة على مالا يُشاهد حسّا من المشاعر. ولم يكن العلماء العرب وحدهم من اعتقدوا بقيمة الصّوت الدّلاليّة بل هناك من علماء الغرب المحدثين من يزعم بشكل عامّ أنّ اللّغات تستعمل في التّعبير عن الأشياء ألفاظا يشبه أثرها في الأذن أثر تلك الأشياء في الأذهان، وهو ما يُحيل على المناسبة الطّبيعيّة بين الأشياء ودلالاتها. هذه الصّلة التّي يُعتقد أنّها كانت طبيعيّة في البداية، ولكنّها تطوّرت حتّى أصبحت العلامة غامضة مثال ذلك أصوات الحيوانات، والرّياح وغيرها.. فالقول بأنّ العلاقة بين الدالّ والمدلول اعتباطيّة أو طبيعيّة طرحان واردان في الدّراسة الدّلاليّة. ومن أمثلة الدّلالة الصّوتيّة أيضا مانلمحه في بعض الظّواهر الصّوتيّة نحو: **ــــ التّنغيم:** يرتبط بالتّغيّر والتّنوّع في الأداءات الكلاميّة، ويتمّ على مستوى التّراكيب، حيث تتغيّر الدّلالة بتغيّر نغمة الأداء الصّوتي، إذ تدلّ أحيانا على التّقرير والإخبار، وأحيانا على الاستفهام، وأحيانا أخرى على التّعجّب، مثال ذلك قولنا: ـــ رُفع البلاء . ــــ رُفع البلاء؟ ــــ رُفع البلاء!  **ــــ النّبر:** ظاهرة صوتيّة دقيقة تهدف إلى إبراز مقطع من مقاطع الكلمة دون المقاطع الأخرى، وهو أشيع في اللّغات الغربيّة منه في العربيّة، بحيث يمكن أن تتغيّر دلالة الكلمة في تلك اللّغات بتغيّر موقع النّبر بينما في العربيّة لايُغيّر النّبر المعنى لكنّه قد يُساعد السّامع على الفهم مثال ذلك في قوله تعالى: (واستبقا الباب)، فيحسن النّبر على المقطع الأخير(قا) لتفريق استبقا عن استبق أي للدّلالة على المثنّى وتمييزه عن المفرد، وفي قوله تعالى:(فسقى لهما) فيحسن فيه النّبر على المقطع الثّاني (سَ) وليس الأخير لكي يعرف السّامع أنّ المقصود هو سيّدنا موسى الذّي سقى الأغنام للمرأتين، ولايتوهّم أنّ (فسقى) هي( فسقا) أي أنّ هناك اثنين فاسقين. وكذلك في قولنا كريمُ الخلق، وكريموا الخلق، فالتّمييز بين المفرد والجمع هنا كان بوضع النّبر مع المفرد في المقطع الأوّل، ومع الجمع على المقطع الثّالث. ويرتبط النّبر في اللّغة العربيّة بالجمل أو التّراكيب وهو كثيرا مايدلّ على الرّغبة في التّأكيد، أو الإشارة إلى غرض خاصّ كما مثّلنا سابقا.

**ـــــ الرّوي والدّلالة:** الرّويّ بنية صوتيّة تتكوّن من فونيم صامت، لكنّها لاتُحلّل في علاقتها بالدّلالة دون أخذ الصّائت الذّي يليه بعين الاعتبار، وربطهما بالدّلالة أمر ضروريّ لدراسة النصّ الشّعريّ. ومن أمثلة علاقة حرف الرّويّ بالدّلالة: ـــــ قول الشّاعر "عروة بن الورد" ردّا على أخيه الذّي لامه في نمط حياته وعيّبه بالنّحول والشّحوب: إنّي امرؤ عافي إنائي شِركـــة وأنــت امـــــــرؤ إنــاؤك واحــــــــــدُ أتهزأ منّي أن سمِنْتَ وأن ترى بوجهي شحوب الحقّ، والحقّ جاهدُ ربط عروة هزاله بكرمه وإشراكه غيره في إنائه، وبالمقابل فسمنة أخيه نتيجة بخله واستئثاره بطعامه لنفسه. ويتميّز حرف الرّوي (الدّال) بصفات القوّة والجهر والانفجار، فهو يدلّ هنا على قوّة عروة في ذاته وقناعته بنمط حياته ومجاهرته بذلك، ومن جهة أخرى يوحي الصّائت (الضمّة) بدفء عروة وإحاطة كرمه بالفقراء وكلّ من يطرق بابه. ـــــ ويقول أيضا مخاطبا زوجته التّي تُعاتبه لكثرة أسفاره متعرّضا للمخاطر في سعيه إلى الكسب: دعيني للغِنى أسعى فإنّي رأيتُ النــــاس شرّهم الفقــيرُ وأبـــعدهم وأهونـهم علـــيهم وإن أمسى له حسب وخيرُ يبدو فونيم الرّاء مناسبا لهذا النصّ، لأنّ سمته المميّزة هي التّكرار، فهو صوت مكرّر، ويدلّ ذلك على أمرين هما تكرّر سفر الشّاعر وكثرة تنقّلاته بحثا عن الغنى، وتكرّر لوم زوجته له (دعيني). ولجهر الرّاء دلالة أخرى وهي جهر الشّاعر بصرخته المدويّة في وجه مجتمعه وسلّم قيمه القائم على التّفرقة. أمّا الصّائت (الضمّة) فتحمل معاني الانزواء والتّهميش وغلق المنافذ (في انغلاقها واستدارة الشّفتين في نطقها) التّي يُمارسها المجتمع على بعض أفراده.

**نموذج تطبيقيّ**

1. يقول ابن جنّي: "فأمّا مقابلة الألفاظ بما يُشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم وواسع ونهج متلئبّ عند عارفيه، ذلك لأنّهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبّر عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها بذلك أكثر ممّا نقدره، وأضعاف مانستشعره من ذلك كقولهم خضم وقضم، فالخضم لأكل الرّطب كالبطّيخ والقثّاء وماكان نحوهما من المأكول الرّطب، والقضم للصّلب اليابس"

ــ يُوضّح ابن جنّي أثر الأصوات في المعاني، فالصّوت الرّخو يدلّ على المعنى الرّخو، وبالمقابل يدلّ الصّوت الغليظ على المعنى الغليظ، ويُعطينا مثالا لذلك كلمتي: الخضم التّي تدلّ على أكل الرّطب، والقضم لأكل الصّلب اليابس. 2. يقول ابن جنّي في باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني ( تصاقب أي تقارب): "من ذلك قول اللّه سبحانه (ألم تر أنّا أرسلنا الشّياطين على الكافرين تؤزّهم أزّا) أي تُزعجهم وتُقلقهم. فهذا في معنى تهزّهم هزّا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللّفظان لتقارب المعنيين، وكأنّهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنّها أقوى من الهاء وهذا المعنى أعظم في النّفوس من الهزّ." ــــ يُوضّح ابن جنّي أنّ تقارب الأصوات ناتج عن تقارب المعاني، ويُقدّم مثالا لذلك كلمتي الهزّ والأزّ المتقاربتين في المعنى ومعناهما: تُزعجهم وتُقلقهم. أمّا إذا نظرنا إلى الكلمتين من النّاحية اللّفظيّة فنجد أنّهما لاتختلفان إلّا في حرف الهاء والهمزة، وهما حرفان متقاربان أيضا من النّاحية الصّوتيّة، فالهاء مخرجه الحلق وهو المخرج ذاته للهمزة. يبدو أنّ ابن جنّي يُصرّح في هذين النّصّين بوجود العلاقة الطّبيعيّة بين الصّوت ومعناه، إذ تتقارب الدّلالات أحيانا نتيجة تقارب مخارج الحروف، وترتبط قوّة المعاني بقوّة الحروف.

**2. الدّلالة الصّرفيّة:**

هي تلك الدّلالة التّي يُعرب عنها مبنى الكلمة، أو هي المعاني المُستفادة من الصّيغ الصّرفيّة، وعرّفها البعض بأنّها المعاني المستفادة من الأوزان والصّيغ المجرّدة، حيث تختلف الدّلالة باختلاف الصّيغة ويُؤثّر في ذلك زيادة الحروف أو نقصانها، فكلّ زيادة في المبنى تُقابلها زيادة في المعنى.ولكلّ صيغة أو وزن معنى معيّن وهو ماجعل علماء اللّغة يستنبطون معاني الصّيغ، التّي تُستشفّ من معنى الصّيغة ومعنى الكلمة. مثال ذلك:

تناقش الطّالبان

الصّيغة الكلمة

تناقش تفاعل

المناقشة + المشاركة

دلالة الصّيغة+دلالة الكلمة:الدّلالة الصّرفيّة : المشاركة في النّقاش

نحصل على الدّلالة الصّرفيّة من النّظر في معنى الصّيغة ومعنى الكلمة، وقد تدلّ صيغة واحدة على عدّة معان يُحدّدها السّياق.

**بعض دلالات الصّيغ في الأفعال: ـــ** **أَفْعلَ:** تدلّ على **الدّخول في الشّيء** نحو: أَعْرَقَ، وأمْصَرَ إذا دخل في هذه البلاد، وأَصْبَحَ، وأَمْسى وأصْحى إذا دخل في هذه الأوقات. **ـــ فَعَّلَ:** تدلّ على **التّكثير** نحو: قَطَّعَ، و**الإزالة** نحو: مَرَّضَ، وقَشَّرّ. أي أزال المرض والقشر**. ــــ فاعَلَ:** تدلّ غالبا على **تعلّق الفعل بمتعدّد**، وتدلّ كذلك على **المنافسة والمشاركة**، بحيث نفهم من معنى الكلمة والصّيغة أن يشترك اثنان في الفعل يكون أحدهما غالبا والآخر مغلوبا، وذلك نحو: صارَعَ و زَاحَمَ وصالَحَ وجالَسَ وخالَطَ. **ــــ تَفاعَلَ:** تدلّ على **تعدّد الفاعلين من دون غلبة**، نحو: تشارك، تخاصم، تعاون. وتدلّ على **التّظاهر** **بالشّيء** نحو: تمارض. **ــــ تَفَعَّلَ:** تدلّ على **التّكلُّف** نحو: تحسَّسَ، تَاَمَّلَ، تفَقَّهَ. **ــــ اسْتَفْعَلَ:** تدلّ على **الطّلب** نحو: استغفر. كما تدلّ على التّحوُّل نحو: اسْتَنْسَرَ أي صار نسرا.

**بعض دلالات الصّيغ في الأسماء: ـــ فُعال:** تدلّ على شيئين اثنين أحدهما **الصّوت**، نحو: رُغاء، ومُواء، وعُواء، وثُغاء، ومنه هُتاف، ودُعاء، وحُداء. والمعنى الثّاني هو **المرض** نحو: صُداع، وسُعال، وبُهاق.. **ــــ فَعيل:** تدلّ على **الصّوت** نحو: صَرير الأقلام، فَحيح الأفعى**.. ــــ فِعالة:** تدلّ على **الحِرفة** نحو: صِناعة، تِجارة، خِياطة..

**3. الدّلالة التّركيبيّة** للجانب التّركيبي علاقة وطيدة بالدّلالة، وقد سبق الفكر العربيّ الفكر الغربيّ في معرفة التّركيب من خلال نظريّة النّظم لعبد القاهر الجرجاني التّي توافق لدى الغرب مايُسمّى بعلم التّراكيب الذّي يختصّ بدراسة العلاقات داخل الجملة أو التّركيب وحركة العناصر داخلها، كما يرى الدّرس الحديث أنّ للدّلالة أهميّة كبرى في التّركيب، حيث يرى فيرديناند دي سوسير أنّه إذا ضممنا عنصرين أو أكثر إلى بعضهما لزم أن تكون بين هذه العناصر علاقات نحويّة وصرفيّة وحتّى دلاليّة. فالتّركيب إذن يتشكّل من وحدتين متعاقبتين أو أكثر، وتتميّز اللّفظة داخل التّركيب بالخطّية، وتكتسب كلّ لفظة قيمتها بالنّظر إلى مايُحيط بها من عناصر. يقول عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز: " ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النّطق بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذّي اقتضاه العقل" فعلم النّحو يبحث في العلاقات النّحويّة بين العناصر المكوّنة للتّركيب (أفعال، وأسماء، وحروف) بحيث يكتسب كلّ عنصر منها قيمة معيّنة بالنّظر إلى غيره من العناصر، و تشكّل تلك العلاقات النّحويّة نظاما دلاليّا يختلف باختلاف موقع العناصر المشكّلة له شرط أن يحمل معنى صحيحا للسّامع فقد يكون التّركيب سليما نحويّا لكنّه لايُؤدّي الدّلالة الصّحيحة للمتلقّي. ومن الظّواهر التّركيبيّة التّي تُؤثّر في الدّلالة:  **أ ظاهرة الحذف:** هو أسلوب بلاغيّ قديم يُستعمل لتوضيح بعض الدّلالات الإيحائيّة التّي يرمي إليها المُخاطِب. مثال ذلك في قول الشّاعر: ليت النّجوم تخرّ كالفحم المُطفأ والسّماء ركام أو رماد، والعواصف والسّيول حذف الشّاعر حرف التّمنّي (ليت) ولم يستعمله إلّا مرّة واحدة، ودلالة ذلك أنّ الشّاعر وحّد أمنياته لتصير أمنية واحدة. **بـ ظاهرة التّقديم والتّأخير**: تتعرّض الجملة بصفة عامّة إلى تغيير في ترتيب عناصرها، وهذا التّغيير يصحبه تغيُّر في الأغراض والدّلالات التّي تُعبّر عنها اللّغة، وغايته هو تحقيق بعض المعاني المقصودة والتّي هي عبارة عن طاقات تعبيريّة تلحق المعاني الظّاهرة فتزيدها تأكيدا وقوّة، ولهذا اعتنى اللّغويّون بالتّقديم والتّأخير كتقديم الفاعل على الفعل.. لكنّهم منعوا ذلك إذا أدّى إلى لبس في الدّلالة، فالتّقديم والتّأخير لابدّ أن يكون لأغراض لغويّة أو بلاغيّة، وحتّى إن تقدّم الفاعل على الفعل فالأصل أن يحذث التّأويل وتبقى الجملة فعليّة، فأحيانا يُقدّم الشّيء لأهمّيته، ويُؤخّر ماهو أقلّ أهميّة للمتلقّي. كقول الشّاعر: اللّيلُ يُطبق مرّة أخرى فتشربه المدينة. حيث ركّز الشّاعر على لفظة اللّيل ( الفاعل) ليُبيّن من خلالها حال المدينة التّي أصبحت مظلمة بحلوله. وفي قول الشّاعر: الموت يلهث في سؤال. فالشّعر هنا لايهمّه الحدث بقدر مايهمّه صانع الحدث، فالموت ( الفاعل) هو الذّي يهمّ الشّاعر لذا لجأ لتقديمه على الفعل.  **جـ ظاهرة تقديم المجرور**: كقولنا: في السّماء نجوم ساطعة. والأصل هو: النّجوم ساطعة في السّماء. فنحن هنا نكون قد ركّزنا على السّماء (اسم مجرور) دون النّجوم، كما في قول الشّاعر أيضا: كالقمح لونكِ يا ابنة العرب. فالشّاعر أعطى لون المرأة الذّي يشبه القمح الأهميّة التّي تظهر في تقديمه له. وغيرها من الظّواهر النّحويّة التّي ترتبط بالدّلالة وتُؤثّر فيها.